

إنتاج كتابي حب الوطن



التَّحَقُّ التَّلَامِيذُ بِحِصَّةِ التَّزْيِينِ التَّشْكِيلِيَّةِ وَ مَا إِنَّ وَصَلَ الْجَمِيعُ حَتَّى قَالَتْ الْمُعَلِّمَةُ : " سَتُنظِّمُ مَدْرَسَتُنَا مُسَابَقَةً فِي الرَّسْمِ ، مَوْضُوعُهَا أَنْ يُعَبِّرَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ ، عَمَّا يَعْنِيهِ لَهُ الْوَطَنُ ، بِوَاسِطَةِ الرَّيْشَةِ وَالْأَلْوَانِ ... لَكُمْ مُطْلَقُ الْحُرِّيَّةِ فِي اخْتِيَارِ الْأَفْكَارِ ! هَيَّا ابْدُؤُوا الْعَمَلَ .. ! "

شَعَرَ الْأَطْفَالُ بِحِمَاسٍ شَدِيدٍ ، وَرَغْبَةٍ كَبِيرَةٍ فِي الْفَوْزِ بِالْجَائِزَةِ . أَطْلَقَ يَاسِينُ الْعِنَانَ لِخَيَالِهِ ، فَرَأَى فِي الْوَطَنِ أُمَّا تَحْتَضِنُ أَطْفَالَهَا ، وَتَحْرِصُ عَلَى سَلَامَتِهِمْ ، وَتَوْفَّرُ لَهُمْ كُلُّ ظُرُوفِ الرَّاحَةِ وَمَعَانِي الْبَهْجَةِ ، وَتُفْتَدِيهِمْ بِكُلِّ غَالٍ وَنَفِيسٍ . فَأَمْسَكَ رِيشتَهُ بِرَفْقٍ وَرَسَمَ وَجْهًا وَضَاءً ، رَقِيقَ الْقَسَمَاتِ ، وَيدًا مِعْطَاءَةً طَيِّبَةً ، وَقَلْبًا كَبِيرًا جَدًّا ، يَحْتَضِنُ كُلَّ أَبْنَائِهِ الصَّغَارِ ، وَيُرْعَاهُمْ حَتَّى يَكْبُرُوا ... وَفِي الْأَخِيرِ ، نَظَرَ يَاسِينُ إِلَى لَوْحَتِهِ بِفَخْرٍ وَسُرُورٍ ، ثُمَّ أَسْرَعَ يَلُونُهَا .

أَمَّا رُدَيْنَةُ فَرَأَتْ فِي الْوَطَنِ عِلْمًا وَعَمَلًا ... أَعْمَضَتْ عَيْنَيْهَا الْحَالِمَتَيْنِ قَلِيلًا ، وَ أَخَذَتْ تُفَكِّرُ تُفَكِّرُ حَتَّى خَطَرَ لَهَا أَنْ تَرَسُمَ كِتَابًا مَفْتُوحًا ، تَسْطَعُ مِنْهُ شَمْسٌ مُشْرِقَةٌ . إِنَّهُ الْكِتَابُ الَّذِي سَطَّرَ حُرُوفَهُ رُؤَادُ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ فِي الْوَطَنِ ... كَانَتْ الْمُعَلِّمَةُ تَنْظُرُ إِلَى لَوْحَةِ رُدَيْنَةَ بِإِعْجَابٍ بَالِغٍ ، وَتَبْتَسِمُ لَهَا ، وَتَشْجَعُهَا عَلَى مُتَابَعَةِ الْعَمَلِ .

وَبَيْنَمَا كَانَ الْأَطْفَالُ مُنْهَمِكِينَ فِي إِتْمَامِ لَوْحَاتِهِمْ الْجَمِيلَةِ ، حَلَّقَتْ مَرَامُ فِي فِضَاءِ الْخِيَالِ الْوَاسِعِ ، فَشَعُرَتْ أَنَّ الْوَطَانَ سَلَامٌ وَسَكِينَةٌ ، وَتَعَاوُنٌ وَتَضَامُنٌ ، وَكَلِمَاتٌ طَيِّبَةٌ عَطْرَةٌ تُثَلِّجُ الصُّدُورَ وَتُرِيحُ النُّفُوسَ .. فَرَسَمَتْ يَدًا سَخِيَّةً رَقِيقَةً ، تَأْخُذُ بِيَدِ صَغِيرَةٍ ضَعِيفَةٍ ، فَتَقْوِيهَا وَتَدْعَمُهَا لِيَشْتَدَّ عُوْدُهَا مُسْتَقْبَلًا .

أَمَّا عُمَرُ فَانْبَرَى يَقُولُ بِصَوْتٍ عَالٍ : " مُعَلِّمَتِي ! ... الْوَطَنُ هُوَ أَرْضِي وَبَيْتِي ، وَهُوَ مَائِي وَتُرَابِي وَهَوَائِي ! " افْتَرَبَتِ الْمُعَلِّمَةُ مِنْ عُمَرُ : فَإِذَا بِهِ يَزُومُ أَطْفَالًا صِغَارًا يَجْمَعُونَ الْقَمَامَةَ وَيَضْعُونَهَا فِي سَلَاتٍ ، وَرَأَتْ فِي اللُّوْحَةِ شَبَابًا مُخْلِصِينَ يَغْرِسُونَ أَشْجَارًا خَضْرَاءَ جَمِيلَةً مُثْمِرَةً ، وَيَسْقُونَهَا ...



أَعْجَبَتْ الْمُعَلِّمَةُ بِفِكْرَةِ عُمَرُ ، وَ أَثْنَتْ عَلَيْهَا ، وَعَادَتْ التَّنَقُّلَ بَيْنَ التَّلَامِيذِ ، فَانْتَبَهَتْ إِلَى أَنَّ التُّرَاثَ هُوَ الْمَعْنَى الَّذِي خَطَرَ بِنَالِ سُلَيْمَةَ ... يَا لَهَا مِنْ فِكْرَةٍ ! لِأَنَّهُ أَصْلُ الْخَضَارَةِ ، وَعَبَقُ الْمَاضِي ، وَذِكْرَى الْأَجْدَادِ ... فَالْوَطَنُ فِي لَوْحَةِ سُلَيْمَةَ : عَادَاتٌ وَتَقَالِيدٌ مُخْتَلِفَةٌ بِاخْتِلَافِ الْجِهَاتِ وَالْأَقَالِيمِ ... وَ الْوَطَنُ أَهَازِيحٌ وَرَقَصَاتٌ .. وَ أَعْرَاسٌ وَ أَعْيَادٌ ... وَالْوَطَنُ أَزْيَاءٌ وَ أَطْبَاقٌ مُخْتَلِفَةٌ الْأَذْوَاقِ ... وَالْوَطَنُ أَلْسِنَةٌ مُخْتَلِفَةٌ اللَّهْجَاتِ وَاللِّغَاتِ ...

ظَلَّتِ الْمُعَلِّمَةُ تَتَجَوَّلُ بَيْنَ الْأَطْفَالِ ، وَتَتَابِعُ أَعْمَالَهُمْ ، وَتَوَجَّهُ إِلَيْهِمْ بَعْضُ الْمُلَاحَظَاتِ حَوْلَ اخْتِيَارِ الْأَلْوَانِ ، وَضَبِطِ الْخُطُوطِ وَالظُّلَالِ .. ثُمَّ اسْتَدَارَتْ نَحْوَ لَوْحَةِ أَحْمَدَ ، فَدَهَشَتْ لِفِكْرَتِهِ الذِّكِّيَّةِ .. لَقَدْ رَسَمَ طِفْلاً يَقِفُ عَلَى رُؤُوسِ أَصَابِعِهِ ، وَيَمُدُّ يَدَهُ إِلَى الْأَعْلَى لِيَزُومَ عِلْمَ الْبِلَادِ عَالِيًا ، خَفَافًا شَامِحًا ، وَيُلَوِّنُهُ بِلَوْنِ دَمِ الشُّهَدَاءِ الطَّاهِرِ ...

جَلَسَتْ الْمُعَلِّمَةُ بِجَانِبِ أَحْمَدَ ، وَرَبَّتَتْ عَلَى كَتِفِهِ وَقَالَتْ لَهُ : " لِمَ اخْتَرْتَ رَسْمَ الْعِلْمِ فِي لَوْحَتِكَ ؟ " أَجَابَ أَحْمَدُ بِصَوْتٍ وَائِقٍ : " لِأَنَّ الْعِلْمَ ، يَا أَسْتَاذَتِي هُوَ رَمْزُ الْفَخْرِ ، فِيهِ تَلَاقَتْ كُلُّ الْمَعَانِي ، وَبِهِ تَعَلَّقَتْ كُلُّ الْقُلُوبِ .. ! "

قَدَّمَ الْأَطْفَالُ إِنْجَازَاتِهِمْ إِلَى لَجْنَةِ التَّحْكِيمِ الَّتِي تَكُونَتْ مِنْ مُعَلِّمَاتٍ وَمُعَلِّمِينَ وَمُدِيرَةِ الْمَدْرَسَةِ ، بِالإِضَافَةِ إِلَى أُمَّهَاتِ الْأَطْفَالِ وَ آبَائِهِمْ وَ أَوْلِيَائِهِمْ ، لِلنَّظَرِ فِي اللُّوْحَةِ الْفَائِزَةِ . كَانَ الإِخْتِيَارُ صَعْبًا لِلْغَايَةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِمْ ... ! ذَلِكَ بِأَنَّ كُلَّ لَوْحَةٍ مِنَ اللُّوْحَاتِ الْمَعْرُوضَةِ عَبَّرَتْ عَنْ شَيْءٍ جَمِيلٍ فِي الْوَطَنِ .. ثُمَّ قَالَتِ الْمُدِيرَةُ : " لِمَ نَسْتَطِيعُ تَحْدِيدَ اسْمِ الْفَائِزِ فِي هَذِهِ الْمُسَابَقَةِ عَنْ ... كُلِّكُمْ فُزْتُمْ يَا صِغَارِي بِالْجَائِزَةِ الْأُولَى ! . غَيْرَ أَنَّ الْفَائِزَ الْأَكْبَرَ فِي هَذِهِ الْمُسَابَقَةِ هُوَ الْوَطَنُ الَّذِي رَسَمْتُمْ حُبَّكُمْ لَهُ .. ! "